

EDITORIAL

دلالات اختلاف القراءات في تعميق التدبر واكتساب القيم الأخلاقية والمهارة بالقرآن

د. صالح سنين صالح يعقوب¹

الملخص

هذه الدراسة جاءت بعنوان: (دلالات اختلاف القراءات في تعميق التدبر واكتساب القيم والمهارة بالقرآن الكريم). واختير ليعالج أمراً في غاية الأهمية، ألا وهو أمر تدبر القرآن الكريم والتخلُّق به، وعلاقة ذلك باختلاف أوجه الأداء – القراءات – وقد عالج الباحث الموضوع في ثلاثة مباحث من خلال المحاور التالية :-

أولاً: القراءات من حيث مفهومها وحجيتها ومكانتها وفضلها وسبب اختلافها، وأن الحكمة من ذلك كله هو التيسير على هذه الأمة التي ما خيّر نبيا صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما.

ثانياً: تجلية مفهوم الدلالة وأنه يعني فيما يعني التفهيم والإدراك كما دلت الآثار الواردة بذلك.

ثالثاً: التدبر بحسبانه غاية عظمى، وهدف أسى لتالي القرآن الكريم أياً كان اختياره أو روايته التي يقرأ بها. {أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها} .

رابعاً: القيم السلوكية أو الأخلاقية التي ستجلى نتيجة التعاطي الإيجابي للمؤمن مع القرآن، إذ إن كثيراً من التالين للقرآن الكريم يكون هدفهم الكم لا الكيف. فتضعف عندهم القيمة الأساسية للتلاوة أو تنعدم.

وقد أوضح الباحث من خلال سرده وتحليله لتلك المحاور أنّ العلاقة متلازمة بين تلك المكونات الأربعة التي قامت عليها الدراسة، هذا وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

وفي الختام خلص إلى جملة من النتائج، وأوصى بضرورة توطيد العلاقة بين المراكز البحثية للنهوض بفقته التدبر، وإشاعة القيم الأخلاقية في المجتمع، كما قام بإثبات المصادر والمراجع.

أستاذ القراءات والتجويد وعلوم القرآن المشارك
جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم- ود مدني

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب هدى وموعظة وذكرى، والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث للناس كافة بدين الحق ليظهره على الدين كله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم القيام لرب العالمين .

وبعد :

فإن نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف جاء تيسيراً للأمة، لكي ترتقي في سلم التعبد ودرج الكمال البشري بتلاوتها لهذا الكتاب حق التلاوة لكي تعيش حياة الرضا والطمأنينة، { الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } {الرعد28}.

وحق التلاوة كما ورد في بعض التأويل يعني التدبر والتفكير وإعمال النظر في المآلات؛ لذا فإن القراءات القرآنية باختلاف أوجهها تعد عاملاً مساعداً ومُعِيناً على تحقيق هذا الهدف السامي الذي على تالي القرآن الكريم تحقيقه والسعي للتعمق فيه

EDITORIAL

تعزيزاً للقيم الإيمانية وإذكاءً لجدوة السمو الروحي بغية نيل الدرجات العلاء، والمقامات الأسمى، والرضوان الأكبر من الله عز وجل.

أهمية البحث

ومن هذا المنطلق تأتي أهمية هذه الورقة التي ستناقش وتعالج بعون الله وتوفيقه قضية التدبر والمهارة بالقرآن وعلاقة ذلك باختلاف أوجه القراءات القرآنية المتواترة، والدلالات والهدايات التي تجعل المؤمن مستشعراً عظيمة ما يتلو من آيات بينات، هي في الأصل جاءت لصياغة الإنسان وهدايته وتقويمه. قال تعالى: { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } ص29 وقال: { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلِّي هِيَ أَقْوَمُ } الإسراء:9.

أهداف البحث:

- 1/ توضيح العلاقة بين التدبر واختلاف القراءات واكتساب المهارة بالقرآن .
- 2/ تجلية المفاهيم المتعلقة بضرورة تعمق المؤمن وتعلقه بكتاب ربه ودستور حياته .
- 3/ المساهمة بقدر الوسع والجهد في بلورة رؤية علمية ثاقبة في هذا الأمر المهم .

قضية الدراسة:

تتمثل قضية الدراسة في أنّ كثيراً من المسلمين علاقتهم صورية وشكلية في التعاطي مع أي الذكر الحكيم؛ لذلك تكون الحاجة ماسة لبلورة رؤية علمية تُعين القارئ والتالي للقرآن الكريم في تشكيل وجدانه بطريقة أكثر عمقاً وأثراً .

أسئلة البحث

وبناءً على تلك المعطيات تبرز الأسئلة التالية:

- 1- كيف يحقق المسلم المهارة بالقرآن؟.
- 2- ما علاقة التدبر واختلاف أوجه القراءة بمسألة اكتساب القيم و المهارة في القرآن؟.
- 3- ما الدلالات والمعاني التي تتجسد وتتحقق للفرد والجماعة من خلال عملية التدبر؟.

فرضيات البحث:

- هناك جملة من الفرضيات يمكن أن تشكل أساساً جيداً للتعاطي مع هذه المسألة نجملها في النقاط التالية:
- 1- هذا القرآن معجز ، وإنّ واحداً من أوجه إعجازه: اختلاف أوجه وطرائق أدائه المتمثلة في القراءات العشر المتواترة كما أقرها المحققون من سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين .
 - 2- إنّ عملية التدبر والتفكير ومن ثم التخلق بقيم هذا الكتاب المعجز هدف أساس من الأهداف التي لأجلها أنزل الله تعالى هذا القرآن .

EDITORIAL

3- إنَّ المهارة بالقرآن الكريم تتأتى بإحكام تلاوته وتدبره والتخلق بأدابه وقيمه ، إذ هو كتاب هداية ودستور أخلاق يصبغ الحياة بصبغة الحكيم المدبّر والخالق المهيمن ، قال تعالى: { صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ } البقرة 138.

الدراسات السابقة :

لاشك أنّ هنالك الكثير من الأبحاث والأدبيات تناولت هذا الأمر ، لاسيما أدبيات الهيئة العالمية للتدبر عبر مؤتمراتها ودراساتها ، لكنني لم أقف على بحث ربط بين هذه الثلاثية (التدبر والقراءات والمهارة بالقرآن ودلالات ذلك) لذا آليت على نفسي تناول هذا الموضوع والاجتهاد في وضع رؤية تبلور نهجاً ، وتضع إطاراً جديداً حسب الرؤية التي سأتناول بها البحث بإذن الله تعالى .

منهج البحث :

سيتبع الباحث المنهج الاستقرائي والوصفي والتحليلي لبلوغ مقصده وتحقيق مخرجاته .

هيكل البحث :

وبناءً على تلك الأسئلة والفرضيات سيصاغ هذا البحث وفق الهيكل الآتي :-

- 1/ المقدمة والإطار العام ويشتمل على (أهمية البحث ، موضوعه ، أهدافه ، أسئلته ، منهجه ، إلخ)
- 2/ المبحث الأول : تجلية وتعريف المصطلحات الآتية : (الدلالات ، القراءات ، المهارات)
- 3/ المبحث الثاني : التدبر (مفاهيم وقواعد وثمرات ودرجات)
- 4/ المبحث الثالث : الأسس القيمية والوجدانية لعملية التدبر .

هذا فضلاً عن الخاتمة التي تتضمن أهم النتائج والتوصيات ، وأخيراً فهرس المصادر والمراجع .

المبحث الأول : عن مصطلح : الدلالات ، القراءات ، المهارات ، وبه ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : مفهوم الدلالة لغة واصطلاحاً

(أ) الدلالة لغة : لو تتبعنا لفظ: دلّ وما صيغ منه في معاجم اللّغة المعروفة ، لوجدناها لا تبتعد عن المجال الذي

رسمه القرآن الكريم، فيورد ابن منظور قوله عن معاني لفظ دلّ فيقول:

الدليل ما يُستدل به، والدليل الدال، وقد دلّه على الطريق يدلّه دلالة بفتح الدال أو كسرهما أو ضمهما والفتح

أعلى،⁽¹⁾ ويسوق ابن منظور قول سيبويه وعلي-كرم الله وجهه- وقد تضمن قولهما لفظ: دلّ، فيقول:

¹ انظر: ابن منظور ، لسان العرب 339/2

EDITORIAL

يقول سيويوه: والدليلي علمه بالدلالة ورسوخه فيها. وفي حديث علي رضي الله عنه في صفة الصحابة: (ويخرجون من عنده أدلة) وهو جمع دليل أي بما قد علموا فيدلون عليه الناس يعني: يخرجون من عنده فقهاء.

وإلى المعنى ذاته يشير الفيروز آبادي محددًا الوضع اللغوي للفظ (دل) فيقول: "والدالة ما تدلّ به على المراد، ودلّه عليه دلالة: سدّه إليه ، والدال كالهادي وبهذا الشرح يؤكّد الفيروز آبادي ما نصّ عليه ابن منظور من أنّ الأصل اللغوي للفظ: دلّ يعني : هدى وسدّد وأرشد. (انظر : القاموس المحيط للفيروز آبادي .⁽²⁾)

(ب) الدلالة في الاصطلاح تعني :

- الإرشاد والهداية والإعلام ، وذلك كما في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنَجِّكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ } الصف10. وقوله : { إِذْ تَمْثِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَى } طه40.

- وورد أيضاً في حديث أبي هريرة قال : قَالَ رَسُولُ [الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -] : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تَوْمَنُوا ، وَلَا تَوْمَنُوا حَتَّىٰ تَحَابُوا ، أَوْ لَا أَدْلُكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابْتُمْ : أَفْشُو السَّلَامَ بَيْنَكُمْ . (أورده البزار في مسنده)⁽³⁾

- وقد تأتي بمعنى الغواية والإضلال "كما في قوله عز وجل : { فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُؤُا } طه120 ، وقوله جل شأنه { فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ } الأعراف22.

- فمن خلال تلك النصوص يتبين أنّ مفهوم الدلالة يكون بعدة معانٍ بحسب السياق ، ونحن بالطبع معنيون بإثبات المعنى الموجب لمفهوم الدلالة بحسبان أنّ عملية اختلاف أوجه القراءة تعطينا دلالة موجبة عن التدبر وعن الاعجاز القرآني برغم تباين الألفاظ كما في كلمة (إبراهيم) المتكررة في القرآن الكريم ، فقد قرأ هشام رابعاً عن ابن عامر الدمشقي (إبراهيم) وكما في لفظ (فتبينوا) الوارد في سورتي النساء والحجرات فقد قرأها حمزة والكسائي (فتثبتوا) كل ذلك وغيره من الشواهد والأمثلة تجعل القارئ يقف متأملاً متدبراً ، وتجعله أكثر تيقناً بمصدريّة القرآن ، وأتته من لدن حكيم خبير . رغم اختلاف أوجه القراءة التي اقتضتها الحكمة الإلهية ، مراعاة لتباين لهجات الأمة التي

² انظر : الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ص 211

³ انظر : البزار ، مسند ص 121

EDITORIAL

نزل القرآن الكريم بلغتها الفصحى ، وهذا ما يدعونا إلى معرفة معنى القراءات، ولماذا صارت بهذا العدد (عشر قراءات متواترة ، وعشرون رواية ، ومئات الأوجه) والكتاب واحد ومصدره الوحي المعصوم . إذن : دعونا ندلف إلى المطلب الثاني لنجيب عن تلکم الأسئلة، ونضع النقاط على الحروف .

المطلب الثاني: تعريف القراءات وموضوعها وغايتها ، ومتى دُوِّنت؟، وبيان أصلها وفضلها واختلافها . أولاً:
تعريفها لغة واصطلاحاً

- القراءات لغة هي: جمع قراءة من قولك: قرأ يقرأ قراءة.

والقارئ هو الحاذق لقراءة القرآن حفظاً وتجويداً وجمعه قرآء وقرأة⁽⁴⁾.

والمقرئ هو العالم بالقراءات والراوي لها والمجاز فيها مشافهة بسند متصل.

- واصطلاحاً: علم يعرف به اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في أحوال النطق به من حيث السماع والمشافهة والنَّبْر⁽⁵⁾.

ثانياً : موضوعها وغايتها

وموضوع القراءات: الكلمات القرآنية من حيث أحوال النطق بها وتحقيق تلاوتها.

و ذلك من أجل:

1- صيانة القرآن عن التحريف والتبديل.

2- معرفة ما يقرأ به كل من الأئمة القراء.

3- الحفاظ على ميراث الأمة وتراثها بعد أن تكفل الله بالحفظ المطلق لكتابه حيث قال تعالى: [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] الحجر: 9 .

ثالثاً: تدوينها وبيان فضلها .

(4) انظر: مختار الصحاح 526/1، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي - ط1 - 1979م - دار الكتاب العربي - بيروت - وكذا لسان العرب

129 /1 ، محمد بن مكرم علي الأنصاري الأفريقي ثم المصري جمال الدين أبو الفضل، - دار صادر - بيروت .

(5) البدور الزاهرة في القراءات العشرة المتواترة لعبد الفتاح القاضي - ط1 - 2002م - ص7 - الناشر مكتبة أنس بن مالك - مكة المكرمة.

EDITORIAL

1- تدوينها

- أول من دَوّن في هذا العلم هو: أبو عبيد القاسم بن سلام⁽⁶⁾ بعد أن وضع لبنته أئمة القراءة الأعلام من طبقة الصحابة والتابعين وتابعيهم من السلف الصالح وقيل أول من وضعه قبل التدوين أبو عمر حفص بن عمر الدوري.⁽⁷⁾

2- بيان فضلها

إنّ علم القراءات يُعدُّ من أفضل وأشرف العلوم مكانةً وأجلّها قدرًا وأبقاها أثرًا. وذلك لتعلقه بكلام الله عز وجل، وقد عني علماء المسلمين سلفاً وخلفاً بهذا العلم ووضعوا فيه المؤلفات المنشورة والمنظومة.

يقول الإمام الشاطبي⁽⁸⁾ في شأن فضل القرآن وأهله في منظومته المسماه حرز الأمانى ووجه التهاني المشهورة بالشاطبية:

وأغنى غناء واهباً متفــــــــــــــــضلاً وإنّ كتاب الله أوثق شــــــــــــــــافع
وترداده يــــــــــــــــزداد فيه تجمــــــــــــــــلاً وخير جليل ليس لايملّ حديثــــــــــــــــه
مجالاً له في كــــــــــــــــل حال مبهــــــــــــــــجلاً فيا أيها القاريء به متــــــــــــــــمسكــــــــــــــــاً
ملايس أنوار من التــــــــــــــــاج والعــــــــــــــــلاً هنيئاً مريئاً والداك علمــــــــــــــــهمــــــــــــــــلاً
أولئك أهل الله والصــــــــــــــــفوة المــــــــــــــــلاً فما ظنكم بالنجل عند جزائــــــــــــــــهمــــــــــــــــه

(6) هو أبو عبيد لقاسم بن سلام: رومياً من أهل هراة - استغل بالحديث والأدب والفقه - ذا دين وسيرة طيبة - صنف كذلك في القراءات والعربية - حسن الرواية صحيح النقل. المصدر: وفيات الأعيان لابن خلكان 60/4-62.

(4) انظر: البذور الزاهرة - مصدر سابق، ص 23
(8) هو الإمام أبو القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي الأندلسي - ولد سنة 538هـ بشاطبة "من قرى الأندلس" - أخذ القراءات عن أعلام أهل زمانه، وقد سار على منهج أبي عمرو بن سعيد الداني صاحب التيسير - توفي الإمام الشاطبي سنة 590هـ بمصر ودفن بالقرب من سفح جبل المقطم رحمه الله، وتحتوي الشاطبية على ألف ومئة وثلاثة وسبعين بيتاً، وتعدُّ من عيون الشعر الأصيل.

EDITORIAL

حلاهم بها جــــــــــــــــاء القرآن مفصلا
أولوا البر والإحسان والصبر والتقى
نقلوا القرآن عذبــــــــــــــــاً وسلــــــــــــــــسلا
جزى الله بالخيرات عنا أئمة لنا
سما العلاء والعدل زهراً وكملا (9)
فمنهم (بدور سبعة) قد توسطت
رابعاً: أصل اخلافها

لقد وردت أحاديث كثيرة تبين المقصود بهذا الاختلاف. لكنني ولضيق مساحة البحث اكتفى بإيراد أنموذج ودليل واحد لتوضيح المراد فأقول:

"روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (سمعت هشام بن حكيم ابن حزام يقرأ سورة هـ فاستمعت لقراءته. فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول ع الفرقان في حياة رسول الله فكنت أساوره "أي أثب عليه" في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه "أي جمع عليه ع الله . فقلت ع رداءه عند لبته" فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ فقال أقرئها رسول الله . فقلت ع قد أقرئها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ع كذبت فإن رسول الله اقرأ يا هشام فقرأ ع إتي سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئها، فقال رسول الله كذلك أنزلت. ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة ع عليه القراءة التي سمعته يقرأ. فقال رسول الله كذلك أنزلت. إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه (10). ع التي أقرئها فقال

(9) يقصد بالبدور السبعة هنا القراء السبعة، أولهم (نافع المدني) وآخرهم (الكسائي الكوفي) حسب ترتيب المنظومة

(10) رواه البخاري 35/5 باب الخصومات - كلام الخصوم بعضهم في بعض - الطبعة الثالثة - دار ابن كثير للنشر - بيروت - لبنان - 1987م - 1407هـ.

البخاري: هو محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي - ولد سنة 194هـ ومات سنة 256هـ، وهو من أعلام الحديث رواية ودراية وكتابه من أصح كتب الحديث.

EDITORIAL

ولعلَّ الحكمة تبدو جلية في ذلك الخلاف في القراءة. وهي التخفيف على الأمة، والتيسير بنصِّ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ [الحديث (فاقرأوا ما تيسر منه)، وقد قال تعالى: القمر: 17].

لأنَّ العرب الذين أنزل القرآن بلغتهم ألسنتهم مختلفة ولهجاتهم متباينة. فهذا يُميل، وذاك يفتح، وهذا يدغم، وذلك يظهر، وهذا يُسهل وذاك يُحقق، فلو كلفهم الله تعالى مخالفة لهجاتهم والعدول عنها إلى غيرها لشقَّ ذلك عليهم. وكان ذلك من قبيل التكليف الذي لا طاقة لهم به. وهذا أمر يتنافى مع سماحة الإسلام ويسره؛ ولذلك أقرَّ قراءة عمر وقراءة هشام رضي الله عنهما، وعن سائر صحابة رسول الله أجمعين

وهنا قد يتبادر إلى الذهن سؤال جوهري وهو: ما المراد بالأحرف السبعة التي عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث؟

وللإجابة عن ذلك أقول:

لقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة اختلافاً واسعاً، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى. ولكن أرجح المذاهب والأقوال أن المراد بالأحرف السبعة هي الأوجه التي يقع بها التغيرات والاختلاف. وهذه الأوجه لا تخرج عن سبعة أمور على مذهب الإمام الرازي الذي وافقه جمهور المحققين، كما نقل ذلك الشيخ إسماعيل البيلي في أرجوزة الجمانة⁽¹¹⁾: وهي كما يلي:

1. اختلاف الأسماء في الإفراد والتثنية والجمع:

البقرة: 81. حيث قرئ "خطيبته" بالإفراد. [وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيبَتُهُ] مثال ذلك قوله تعالى: وقرئ "خطيباته" بالجمع.

(11) أرجوزة الجمانة وشرحها للشيخ أحمد محمد إسماعيل البيلي: وهو أستاذ سوداني معاصر، تقلد عدة مناصب في السودان وخارجه، منح وسام الجدارة بدرجة فارس من موريتانيا ووسام العلم والآداب الذهبي من السودان، له العديد من المصنفات في القراءات وتوجيهها، أديب وشاعر وناقد، عضو مجمع الفقه الإسلامي بالسودان.

EDITORIAL

المائدة: 107. قُرى "الأوليان" مثنى [مِنْ الْأُولِيَّانِ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولِيَّانِ] ومثال آخر قال تعالى: "أولى" وقُرى "الأولين جمع أول.

2. اختلاف تصريف الأفعال من ماضٍ ومضارعٍ وأمر.

البقرة: 183 قُرى "تطوع" فعل ماضٍ. وقُرى "يطوع" [فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا] مثال ذلك قوله تعالى: فعل مضارع.

قُلْ [الزَّخْرَفُ : 24. قُرى "قال" فعل ماضٍ. وقُرى [قَالَ أَوْلُوا جِئْتِكُمْ] ومثال آخر قال تعالى: فعل أمر. [أَوْلُوا جِئْتِكُمْ

3. اختلاف وجوه الإعراب نحو قوله تعالى: [وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعَفْهَا] النساء: 40 قُرى حسنةً بالنَّصْب وحسنةً بالرَّفْع.

4. اختلاف الإثبات والحذف. ومثاله قول الله عزَّ وجل: [وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْجَمِيدُ] الحديد: 24. قُرى بحذف هو، وقُرى بإثباتها في سورة الحديد.

5. اختلاف التقديم والتأخير مثل قوله: [وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا] آل عمران: 195. قُرى "وقتلوا وقاتلوا" بتقديم و"قاتلوا" وتأخير و"قاتلوا".

6. اختلاف الإبدال أي يجعل حرفاً مكان حرف آخر مثل [فَتَبَيَّنُوا] الحجرات: 6. قُرى "فتتبتوا" بجعل الثاء مكان الباء والياء مكان الياء والياء مكان التاء.

7. اختلاف اللمهجات مثل الفتح والإمالة، والإدغام والإظهار، وإبدال الهمزة وتحقيقها أو تسهيلها، ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها أو إبقاؤها. إلى غير ذلك من اختلاف اللمهجات⁽¹²⁾.

وبناء على ما تقدم ذكره من أوجه الخلاف السبعة فإنه ليس المقصود بالأحرف السبعة القراءات السبع التي أنزل بها القرآن؛ لأنَّ القراءات السبع بل العشر هي جزء من الأحرف السبعة

(12) والأمثلة كثيرة في هذا المجال كالنار والنار بالنسبة للفتح والإمالة " وإذ جاءوكم من فوقكم " الإدغام والإظهار في الذال مع الجيم.

EDITORIAL

التي نزل بها الكتاب المجيد. كما جاء في الحديث الذي ورد ذكره (إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه) (13).

وهنا قد يطراً على الذهن سؤال آخر وهو :

لماذا إذاً نسبت القراءات إلى الأئمة القراء العشرة؟؟:

وللإجابة عن ذلك أقول أيضاً:

نسبة القراءات إلى الأئمة نسبة اشتهار وإعلام ، لأنّ كل واحد منهم قضى مدة حياته يقرأ بالقراءة التي اشتهر بها في مصر معين من الأمصار ، وظل يقرئ بها الناس فعُرف بها وذاعت باسمه فيقال قراءة نافع - رواية قالون أو روش ، وقراءة عاصم رواية حفص مثلاً ، وهكذا.. فهذه النسبة إلى تلك الأسماء والأعلام من الأئمة الكرام إنّما هي نسبة قراءة وإقراء ومداومة وملازمة ، وليست نسبة ابتداء أو اختراع أو تأليف فإنّ القرآن الكريم بجميع قراءاته ورواياته وطرائقه إنّما أخذ بالتلقي والمشاهدة ، والأخذ عن المشايخ الكرام المتصلي السند برسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام. (14)

المطلب الثالث: مفهوم المهارة وعلاقتها بالقرآن مع بيان نماذج من الماهرين من الصحابة .

أولاً: بيان مفهوم المهارة ومعناها لغة واصطلاحاً .

- جاء في لسان العرب : الماهر السابق ، مهت بهذا الأمر ، أمهر به مهارة ، أي صرت به حاذقاً. (15)

(13) سبق تخريجه.

14 تقريب المعاني في شرح حرز الأمانى ، ص، 13- لخالدمحمدالحافظ ، وسيد ، مكتبة دار الزمان بالمدينة المنورة ط/3 1420 هـ
15 انظر : لسان العرب 293/6، (مادة مهر)

EDITORIAL

- وجاء في المعجم الوسيط : مهر في الشيء وبه مهارة إذا أحكمه وصار به حاذقاً فهو ماهر. (16)
- ويقال: مهر في العلم وفي الصناعة وغير ذلك .
- هذا فيما يتعلق بالمفهوم اللغوي ، أما المفهوم الاصطلاحي فقد عرف الباحثون والمختصون المهارة تعريفات شتى فيما يلي أبرزها :-
- المهارة هي القدرة على أداء عمل معين أو مجموعة من الأعمال بشكل متناسق .
- المهارة هي السرعة والدقة في أداء عمل من الاعمال مع التكيف للمواقف المتغيرة .
- المهارة هي نشاط معقد يتطلب قدراً من التدريب المقصود والممارسة المنظمة والخبرة المضبوطة بطريقة ملائمة وخطوات محسوبة .
- المهارة هي السهولة والدقة في أداء عمل من الأعمال .
- المهارة هي القدرة على إحداث أثر مقصود على نحو متسق وبدقة مع السرعة والاقتصاد في الزمن (17)
- وبناء على تلك المفاهيم والتعاريف لكلمة المهارة يمكن الخلوص إلى أنّ المهارة في القرآن الكريم تعني : (تحقيق التلاوة وجودة الأداء مصحوباً بالتدبر وحسن الصوت الذي هو موهبة ربانية يمكن صقلها وتطويرها عن طريق التدريب والكسب والممارسة بواسطة الشيخ المتقن الماهر) . (18)
- فكلمة مهارة هنا حتماً تكون قد مرت بمجموعة من المراحل والأطوار. ولعل المرحلة الأولى هي تعلم كيفية قراءة القرآن، وتعلم القراءة لا يمكن إطلاقاً أن يحدث دون ممارسة ومحاولات متكررة لضبط المخارج وعدم اللحن. والتعلم الأول لابد أن يكون في حضرة شيخ ضابط يصحح تطبيقات الأداء المتقن. (19)
- وإلى ذلك يشير العلامة المحقق أبو عمرو الداني في أرجوزته القيمة التي يعدد فيها أهمية وفائدة التلقي عن المحققين أهل السند العالي والقدوة الحسنة فيقول :

وقيد الجميع بالمعاني	وبدل المجهود في البيان
عن كل أصل ظاهر جلي	وكل فرع غامض خفي
من غير إطناب ولا إكثار	ولا تكلف ولا تكرار
على الذي رواه عن أيمته	من مدني المشرق وقت رحلته
من مقرئ منتصب إمام	وعالم بالنحو ذي تمام
وماهر في العلم بالتأويل	وقدوة في محكم التنزيل

16 انظر : المعجم الوسيط ، باب (مهر)

انظر :المهارات الأساسية لمدير الإدارة المدرسية ، ص 2/ محمد صالح عبد الله المنيف . 17

انظر : كيف تكون ماهرأ بالقرآن ؟ للباحث . 18

المصدر السابق . 19

EDITORIAL

وفي العُقُودِ وأصولِ الدين
وباصرٍ بالنَّقْلِ والرَّوَايَةِ
وضابطٍ للأحرفِ المشهورَةِ
وصادقِ اللمحةِ غيرِ مُتَمِّمٍ

والفقهِ والحديثِ ذي تمكين
مُشَهَّرٍ بالفهمِ والدرايَةِ
وحافظٍ للطرقِ المنشورةِ
لسُننِ الماضينَ قبلُ ملتزمٍ⁽²⁰⁾

نعم .. فإنَّ المهارةَ بالقرآن تكون في ذروتها لمن أتقن التلاوةَ وحقَّق الأداء ، وأخذ عن الشيخ المتقن المحقق العالم بأصول اللِّغة والبيان ، المحرز لمقام ومرتبة الإمامة والضبط ، فالمهارة هي إذن : تحقيق التلاوة بالسند العالي مع التدبر⁽²¹⁾.

قال تعالى : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) البقرة121. يقول حجة الإسلام الإمام الغزالي في وقفة مع هذه الآية : (وتلاوة القرآن حق التلاوة هي أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب ، فحفظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل ، وحفظ العقل الائتثار ، وحفظ القلب العظة والتأثر)⁽²²⁾ ، فاللسان يرتل ، والعقل يترجم ، والقلب يتعظ .

ومهارة الأداء وقوة السند أمر تميّز وتفرد به صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث كان يُشهد لهم بحسن الأداء ، ويستمع إلى تلاوتهم المحققة وترتيلهم الجميل ، وهناك نماذج عديدة ولكن حسبنا أن نأخذ أنموذجين للتدليل على ما نقول .

ثانياً: نماذج لماهرين من الصحابة

1/ أنموذج سيدنا عبد الله بن مسعود الذي استمع النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لتلاوته ، وتأثر بها حتى ذرف الدموع من عينيه الشريفتين خشوعاً وخشية لله تعالى ، ثم قال ذات مرة لصحابته الكرام : (من سره أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد)⁽²³⁾

²⁰ انظر : الأرجوزة المنية ، لأبي عمرو الداني . ص24.

²¹ انظر : كيف تكون ماهراً بالقرآن ؟ للباحث ص 23 ط 1.

²² انظر : إحياء علوم الدين ، لأبي حامد الغزالي 129/1

²³ أورده الهيثمي في مجمع الزوائد 287 /9 .

EDITORIAL

2/ الأنموذج الثاني هو : سيدنا أبي بن كعب ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب : (إنَّ الله أمرني أن أقرأ عليك ، قال أبي : أَلله سمانى لك ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله سمالك لي ! قال أنس : فجعل أبي يبكي !)⁽²⁴⁾

وكان أبي وابن مسعود من تلك الكوكبة النيرة والزمرة المؤمنة من الصحابة الكرام الذين أجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد لهم بالكفاءة والتّمييز في الأداء والقراءة والإقراء حينما قال : (خذوا القرآن من أربعة : عبد الله بن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب)⁽²⁵⁾

ولاشك أنّ كثيرين غير هؤلاء الذين سمّاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هم ممن تميزوا وبرعوا في إتقان وقراءة القرآن وإقراءه للناس ، وقد مثّل كلُّ واحد من أولئك الصحابة الأبرار مدرسة متفردة في جانب من جوانب هذا التنزيل المعجز الذي جاء من حكيم حميد.⁽²⁶⁾

ونستخلص مما تقدّم حرص قائد الأمة وهادئها ومعلّمها الأول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يتلقى هذا القرآن من أفواه الرجال المهرة المتقنين المجيدين للقراءة، ولا ريب أنّ جميع الصحابة مجازون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كذلك نستخلص أنّ لقراءة القرآن الكريم طريقة معينة وكيفية محددة وهيئة معلومة يستحسن ويستحب بل يستوجب أن يتبعها من أراد أن يكون مع السّفرة الكرام البررة ، وقراءة القرآن على تلك الشاكلة التي استمع إليها النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة، ونقلها إلينا السلف الصالح من بعدهم عبر أصحاب القراءات المتواترة العشر هي التي يجب أن نفتفي أثرها ونحذو حذوها كي نحقق المهارة بالقرآن (فالماهر بالقرآن مع السّفرة الكرام البررة)⁽²⁷⁾

المبحث الثاني: التدبر (مفاهيمه وقواعده وعلاماته وثمراته ودرجاته) وبه ثلاثة مطالب .

المطلب الأول: مفهوم التدبر.

1- مفهوم التدبر لغة :

²⁴ رواه مسلم برقم 801 ، باب القراء من أصحاب النبي .

²⁵ رواه البخاري برقم 999، باب القراء من أصحاب النبي .

²⁶ انظر: كيف تكون ماهراً بالقرآن، مصدر سابق ، ط1/14

²⁷ المصدر السابق نفس الصفحة .

EDITORIAL

فأصل كلمة التدبر من الفعل الثلاثي (دبر) أو الرباعي (أدبر) وهذا ما ورد في قوله تعالى: (وَاللَّيْلِ إِذَا دُبِّرَ) {المدرثر 33}. كما في قراءة نافع, وحفص, وحمزة ويعقوب, وخلف العاشر, بالفعل الرباعي على وزن (أكرم) وقوله تعالى أيضاً (والليل إذا دبر) بالفعل الثلاثي على وزن (كرم) كما في قراءة الباقيين من القراء والرواة²⁸.

أما في معاجم اللُّغة فلها عدة معان ومدلولات منها على سبيل الإيجاز والاختصار:-

يأتي الدُّبر بمعنى: (مؤخرة الشيء)؛ لذلك تذكر الكلمة في مقابل القُبل. قال تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّن قَبْلِ فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّن دُبْرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ يوسف 26-27

ويأتي بمعنى (الانصراف والذهاب) كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَإِذْ بَارَ النُّجُومِ﴾ الطور 49. أي عند ذهابها في آخر الليل مع قرب قدوم الصُّبح, وكما ورد في قول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ). ويقال للقوم في الحر: ولوهم الدبر والإدبار, والإدبار التولية نفسها²⁹

بمعنى (النظر في عواقب الأمور) وهذا لعله من الدلالات المجازية كما جاء في تاج العروس, قال جرير: ولا تتقون الشر حتى يصيبكم ... ولا تعرفون الأمر إلا تدبرا

2- التدبر اصطلاحاً:

- هو التفكير والتأمل في عواقب الأمور ومآلاتها والنظر فيها بوجه يوصل إلى دلالات الكلم ومراميه البعيدة.
- أو هو التفكير باستخدام وسائل التفكير والتساؤل المنطقي للوصول إلى معان جديدة يحتملها النص القرآني وفق قواعد اللغة العربية, وإضفاء تساؤلات مختلفة حول هذا الربط أو ذاك³⁰.
- والتدبُّر النَّظَرُ في مأل الشيء والتفكر في عاقبته, وقد استعمل في كل تأمل يقع من الإنسان في حقيقة الشيء أو أجزائه أو سوابقه أو لواحقه أو أعقابه.

25 الغاية في القراءات العشر - للنيسابوري ص 282.

26 العين / للخليل بن أحمد, - تاج العروس / للفيروزبادي . مادة: (دبر)

27 انظر: مفاتيح تدبر القرآن, د. خالد اللاحم

EDITORIAL

• وتدبر الأمر تأمله ونظر في أدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه , فمعنى تدبر القرآن تأمل معانيه , وتبصر ما فيه

31,

المطلب الثاني : قواعد التدبر وعلاماته .

تمهيد : يلاحظ المتأمل والنّاظر إلى كلمة (التدبر) التي وردت في السياق القرآني الذي أوردته في المطلب السابق ، أنّ هناك آيتين نزلتا في الحديث عن النفاق والمنافقين تقريعاً وتوبيخاً لهم , وهما قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ النساء 82 وقوله : ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ محمد 24, وآيتان أخريان في سياق مخاطبة المشركين وهما قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَذَّبَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ المؤمنون 68 ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ص 29, ولكن الملاحظ أيضاً أنّ في آية سورة (ص) قراءة أخرى بالتاء (لتدبروا آياته)³² ترجّح احتمال شمولية الخطاب , ولا يعني البتة أنّ هذه الآيات الأربع في تلك السياقات يفهم منها أنّ التدبر قاصرٌ على المعاندين والمكذّبين و ليس مطلوباً من المؤمنين ، بل هم المعنيون به حقاً والأجدد والأحرى بهم أن يتدبروا كتاب ربهم، ويتأملوا ويفكروا في عظمة مخلوقاته وبديع صنعه المتقن . ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ النمل 88.

وبعد هذا التمهيد أذلف إلى بيان قواعد التدبر وعلاماته التي ينبغي للمؤمن أن يعيها ويفهمها .

(أ) قواعد التدبر وهي :-

أولاً: الإلمام بقواعد اللغة العربية وأساليبها البلاغية والبيانية , إذ لا يخفى على أحد أنّ هذا الكتاب فد نزل بلغة العرب ولسانهم , قال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ الشعراء: 193-194-195 , وقال : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ يوسف 2, ولغة العرب من الدين كما ذكر الإمام بن تيمية في فتاويه

33.

ثانياً: الوقوف على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام ومن تبعهم بإحسان، ودراستها؛ وذلك لما فيها من المشاهد والمواقف والدروس والعبر التي تعين المتدبر وتعطيه الأنموذج العملي , والمعلوم أنّ النبي الكريم كان الترجمان الحقيقي لهذا القرآن , بل كان خُلُقُه القرآن كما جاء في الصحيح , فهو المبيّن لمجمله والموضح لمشكله،

28 انظر: روح المعاني للألوسي . 5/ 92 .- والكشاف للزمخشري 1/ 546 .

29 هي قراءة الإمام أبي جعفر المدني من القراء العشر, انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري 2/361

30 انظر: فتاوى بن تيمية 3/146

EDITORIAL

والمطبّق لأحكامه، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل 44. لذلك فإنّ دراسة السيرة أحد أهم القواعد والمعينات لتدبر كلام الله عزّ وجلّ .

ثالثاً: معرفة أسباب النزول من خلال دراسة كتب التفسير بمدارسه المختلفة من فقهية ولغوية وإشارية، ذلك لأنّ كثيراً من الآيات مرتبطة بوقائع ومناسبات وأحداث شملت في كثير من جوانبها بعض ما تعانيه الأمة من تحديات وما تواجهه من مؤامرات، فمثلاً إذا أخذنا الآيات التي تتحدث عن هزيمة المسلمين في معركة أحد: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران 139 ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ كَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ كَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ آل عمران 140 وقوله تعالى عن المنافقين بُعيد غزوة بني المصطلق: ﴿يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المنافقون 8.

إذا تأملنا تلك الآيات وفق معرفتنا لأسباب النزول نجد أنّ القاسم المشترك في عملية الكيد والتآمر هو عنصر النفاق والمنافقين فهم دائماً وأبداً ينسجون خيوط المكر، ويحيكون العداة للصفّ المؤمن من خلال المعية والتواجد داخل الجماعة، ويعملون فيها خذلاناً وغدراً وتدميراً، ولكن الله عز وجل يفضحهم ويحبط مخططهم ويكفي المؤمنين شرهم كما ورد في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا، وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ الأحزاب 12-13.

وقال: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَمَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالْأَسِنَّةِ جِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ الأحزاب 19.

ومن هنا تبرز أهمية هذه القاعدة في عملية التدبر، وإذا ما طبق قارئ القرآن هذه القواعد الأساسية أدرك القيمة الحقيقية لعلاقته بكتاب ربه، وظهرت عليه علامات التدبر، ومن ثم انعكست على سلوكه وحياته، وبالتالي يحصل له التغيير المنشود.

(ب) علامات التدبر

• التأثر والبكاء من خشية الله، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ حَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ مريم 58. ﴿وَإِذَا

EDITORIAL

سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿المائدة 83﴾

• حضور القلب والعقل والتوقف عند المعاني: قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ الفرقان 73

وقال: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ الزمر 23

• زيادة الإيمان والطمأنينة والخشية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الأنفال 2

• الفرح والاستبشار عند آيات الوعد والتعظيم والرضوان رجاءً لما عند الله .

• الخوف والمهابة عند آيات الوعيد والعذاب المهين. لأن المؤمن الصادق يعيش دائماً بين الخوف والرجاء، فلا ييأس من الرحمة وإن قصّر، ولا يغتر بعمله وإن أحسن .

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ، وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ، أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ المؤمنون، 57-

61

• السجود والخضوع والذلة تهيباً لعظمة الله وإجلالاً لشأنه جلّ وعلا، فإن من لم يعظم الله ويسجد له هنا، لن يستطيع السجود له هناك .

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ القلم 42

المطلب الثالث: ثمرات التدبر

إنّ أي نشاط أو عمل يقوم به الإنسان في هذه الحياة يرغب أن يجني ثمرته ويحصل على نتيجته، فطالب العلم يريد النجاح والتفوق، والتاجر يريد الزيادة والربح، والمزارع يريد الإنتاج الوفير والمحصول الكثير، والمتزوج يريد الولد، وهكذا الحياة.....

أما الغاية الكبرى التي يسعى إليها المؤمن في نهاية مطافه هو أن يجني ثمرة عمله الصالح في الدنيا، رضواناً من الله وجنة عرضها السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِخَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ﴾ آل عمران 185.

EDITORIAL

فما هي ثمرة تدبّر القرآن الكريم التي يجنيها العبد المؤمن وهو يتلو كتاب ربه آناء الليل وأطراف النهار في صلواته

وحلقات مدارسته وتعلّمه ، وفي حله وترحاله ؟

يمكننا أن نبين تلك الثمار من خلال الإشارات الآتية :

• حصول الهداية والرحمة واليقين في القلب .

قال تعالى : ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ الجاثية 20، فمن تدبّر القرآن تفتحت بصيرته

واهتدى إلى الحق وتنزلت عليه الرحمة والسكينة كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم : (وما اجتمع قوم في

بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ،

وذكرهم الله فيمن عنده)³⁴ فتدبّر القرآن من ثمرته حصول اليقين التام بتلك المعاني، والقرآن كالماء العذب، والقلب

كالشجرة لا يستطيع أن تعيش وتنمو إلا بسقي الماء ، فالقلب كلما تفكّر وتدبّر في معاني كلام الله حصل له الري والسبّغ

والنمو والاستقرار والهدوء والسكينة والثبات والسمو، ولما علم الله تعالى حاجة القلب إلى هذه المعاني جاء بهذا

القرآن فيه القصص والأخبار والفرائض والأحكام، والوعد والوعيد والغيب والشهادة حتى يعيش القلب المتدبّر حياة

لا تموت.³⁵

• زيادة الإيمان

ومن ثمرات التدبّر زيادة الإيمان لأهل القلوب السليمة، لأنّ صاحب القلب المريض لا ينتفع بقرآن ولا يزداد إيماناً

، قال تعالى: {وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ

{التوبة 124} {وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ} {التوبة 125}، فالمؤمنون يزدادون

إيماناً بسبب تدبرهم وفهمهم لهذه الآيات واعتقاد ما فيها من الخير والرغبة في الزيادة من هذا الخير مع فرح وسرور

واستبشار ، أما الصنّف الآخر وهم المنافقون ومن في قلوبهم مرض يتساءلون في عمه واستغراب أيكم زادته هذه

إيماناً؟ فلا يرون في هذه الآيات زيادة إيمان، بل هم في شك وحيرة وتردد وعسى، لأنّ القلوب مقلّدة كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَا

يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ محمد 24.

• الشفاء من الأمراض ودفع الشبهات

31 رواه مسلم ، وأورده النووي في رياض الصالحين برقم :1030

32 انظر: مفاتيح تدبر القرآن ، د. خالد اللاحم.

EDITORIAL

فالقُرآن شفاء ودواء بلا شك ولا مرأى وهذا أمر محقق ومؤكّد فمن تدبر وعاش معه نال المراد قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَبِيٍّ وَعَرَبِيٍّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فصلت44.

• التعلق بالآخرة والشوق إليها

فمتدبر القرآن يشفق إلى الله ويتوق إلى لقائه والفوز بنعيمه ورضوانه، فهو زاهد في هذه الحياة وإن ملك من متاعها ما ملك، لأنها زائلة، ومتاع الآخرة خير وأبقى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ طه131.

قال إمام التابعين الحسن البصري رضي الله عنه: (يا ابن آدم والله إن قرأت القرآن ثم آمنت به ليطولن في الدنيا حزنك، وليشتدن في الدنيا خوفك، وليكثرن في الدنيا بكاؤك،³⁶

وأورد الإمام بن الجوزي رحمه الله في "صيد الخاطر": (همة المؤمن متعلقة بالآخرة فكل ما في الدنيا يحركه لذكر الآخرة، فإذا رأى ظلمة الليل ذكر ظلمة القبر، وإن رأى منظرًا مؤلمًا ذكر العقاب، وإن سمع صوتًا فظيعًا ذكر نفخة الصور، وإن ذكر الناس نيامًا ذكر الموت في القبور، وإن ذاق لذة ذكر الجنة، فهمته متعلقة بما تمّ، وذلك يشغله عن كل ما تم).³⁷

• الاعتصام بالله وتأليف القلوب

من تدبر القرآن عرف قيمة الوحدة والاعتصام وأدرك خطر الفرقة والانقسام، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ آل عمران103

• الإحساس بالأمن والطمأنينة

حلاوة الإيمان تُتذوق باليقين والصبر، وثمره التدبر تُجنى بالإخلاص والصدق، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ الأنعام82.

• الشعور بالرضا والقناعة

33 انظر : الزهد لابن المبارك ص 232.

34 انظر: صيد الخاطر، لابن الجوزي ص 315

EDITORIAL

والرضا منحة وهبة إلهية للعبد المتدبر لكلامه وهي منزلة من المنازل - كما يقول صاحب المدارج - وكذا القناعة ، ويكون الرضا بالله وبدينه ورسوله أولاً، ثم الرضا والقناعة بما قسم الله تعالى للعبد من رزق ومتاع في هذه الحياة ليلقى رضا الله عنه في الآخرة،³⁸ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتِي﴾ الفجر: 27- 30

وقال صلى الله عليه وسلم: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً)³⁹.

درجات التدبر:

لاشك أنّ التدبّر ليس كله على مستوى واحد فهو درجات ومراتب يرتقي فيها المؤمن المتدبر حتى يبلغ مراده وغايته وهو مرضاة الله عز وجل، ويمكننا تلخيص تلك المراتب والدرجات في النقاط التالية:

• التفكير والنظر والاعتبار

المؤمن لا يمر على الآيات مروراً عابراً فهو وقاف ومتأمل ومعتبر، يُقَلِّبُ النظر ويُمعن الفكر، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ البقرة 219، وقال: ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ البقرة 221

وإنّ أقيم ما قيل في هذا المعنى كلام بن الجوزي: (إنّ الله تعالى قد صنف هذه المخلوقات فأحسن التركيب وأحكم الترتيب، ثم عرضها على الألباب، فأبى لبّ أوغل في النظر مُدح على قدر فهمه فأحببه المصنف، وكذلك أنزل الله القرآن يحتوي على عجائب الحكم، فمن فتّشه بيد الفهم وحادثه في خلوة الفكر، استجلب رضى المتكلم به، وحظي بالزلفى لديه).⁴⁰

• الاستجابة والخضوع

إنّ المتدبر يستجيب بعد الفكر والنظر، فيطيع الله ويغض البصر، ولسانه يلهج بالشكر لأنّه رزق الهداية ووفق إلى مرضاة الله عز وجل، فإنّ من أتى علم القرآن فلم ينتفع، وزجرته نواهيه فلم يرتدع، وارتكب من الإثم قبيحاً، ومن الجرائم قصداً، كان القرآن حجة عليه، وخصماً لديه⁴¹، وجاء في الصّحيح: (القرآن حجة لك أو عليك)⁴²

• استخراج الحكم واستنباط الأحكام

35 انظر : ابن القيم ، مدارج السالكين ص 363

36 رواه:مسلم 45/2

37 انظر : ابن الجوزي ، صيد الخاطر،ص-91.

38 انظر: القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن 2/1

39 رواه مسلم برقم : 223 .

EDITORIAL

حكّم القرآن وأحكامه درجة من درجات التدبر لا يبلغها إلا العالمون فهي بذلك مرتبة العلماء ومنزلة الفقهاء، يقول الإمام ابن كثير رحمه الله (فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبه من مظانّه، وتعلّم ذلك وتعليمه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ آل عمران 187.

فقد ذمّ الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله، فعلينا نحن المسلمين أن نحذر ما ذمهم الله به، وأن نأتمر بما أمرنا الله به من تعلّم الكتاب المنزل إلينا وتعليمه وتفهمه وتفهيّمه)⁴³

المبحث الثالث: الأسس القيمية والوجدانية المكتسبة من عملية التدبّر

لعل عملية التدبّر كما ذكرنا في المبحث السابق تثمر خيراً كثيراً، وتعيد صياغة العبد المؤمن لتجعله رباني المقصد، محمدي الخلق، إنساني التعامل، مُشَبَّع بالقيم وزاخر بالمعاني. ويمكننا من خلال هذا المبحث الأخير أن نقف على أهم وأبرز تلك الأسس القيمية المكتسبة من عملية التدبر، وإنها لكثيرة ووفيرة، فبحسب استقامة وقرب المؤمن من الله تكثر صفات الخير فيه وتبرز، والعكس صحيح، ولكن أهم تلك الأسس تتمثل في الآتي:

1- العلم بالله ورسوخ الإيمان به

فالشخصية المتدبرة لكلام الله تعالى إيمانها بالله راسخ لا يتزحج مهما كانت المخاطر والخطوب، وقلبيها مليء بالثقة والتوكل على الله لأنّ الإيمان ليس ادعاء، بل إقرار بالقلب واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان .

قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الحجرات 14، وثبات الإيمان وتمكّنه من القلب المتدبر يجسده قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ آل عمران 173 ثم تأتي النتيجة والعاقبة لهم. كما قال تعالى في السورة نفسها: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضِّلْ لَمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ آل عمران 174

2- لزوم طاعتها لله والاستقامة على منهجه

40 انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 2/1

EDITORIAL

ولزوم الطاعة تعني الحرص على أداء فرائض الله وفق ما شرع لأتباعها تمثل رأس مال العمل الصالح للعبد المؤمن المتدبر، والحرص على ألا يفتقدك الله حيث أمرك، وألا يجردك حيث نهاك، ويمثل هذا جماع التقوى، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران 102

3- تعظيمها لشعائره

وذلك باحترام وتوقير كتابه وسنة نبيه والعمل بهما في السراء والضراء، والرضا عن الله بقدره وقضائه، كل ذلك يحصل من المؤمن المتدبر وهو يستشعر عظمة الله وقدرته وعزته، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ اللَّهَ فَآيَاتُهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ الحج 32.

4- محبتها واتباعها لهديه

المحبة ليست كلاماً يقال، ولا ادعاء بغير فعال، ولكنها عمل واتباع لما أمر به الخالق في كل تصرف يصدر عن المخلوق. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ آل عمران 31 وقال في وصف عباده الذين يحبهم ويحبونه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ المائدة 54.

وحلاوة الإيمان تدرك برسوخ محبة الله تعالى في قلب المؤمن المتدبر .

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار)⁴⁴، والحب في الله والبغض فيه من كمال الإيمان، ولا يتحقق ذلك إلا بالصدق في الطاعة والانقياد للمحسوب، كما قال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه
لو كان حبك صادقاً لأطعته
هذا محال في القياس بديع
إن المحب لمن يحب مطيع⁴⁵

5- مداومتها على الذكر والشكر

41 متفق عليه في الصحيحين .

42 البيتان للإمام الشافعي رحمه الله .

EDITORIAL

إنَّ العبد المؤمن المتدبر ليس بغافل ولا لاهٍ، وإنما هو في ذكر متصل دائم وشكر على آلاء الله ونعمه، فالحياة عنده كلها لله عز وجل عبادة وقربة. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام:162 وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ الأحزاب:41-42، وأنَّ التدبر يقوده إلى شكر آلاء الله عليه لأنَّه صار من عباده العارفين بحقوق ربهم عليهم وهم قليل، كما أخبر سبحانه وتعالى في قوله: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ سبأ:13

والشكر له مراتب لا يحقها إلا المتدبر وهي: أولاً: معرفة المنعم وتعظيم النعمة، والأمر الثاني: الشعور والإحساس بالنعمة، والأمر الثالث: المبادرة إلى إهداء هذه النعمة إلى الغير. وبالشكر تدوم النعم.

6- إحسانها إلى الخالق والخلق

ومن سمات الشخصية المسلمة أفراد خالقها بالعبادة الخالصة، وإتقان العمل في أي مجال من مجالات الحياة، ذلك لأنَّ الله تعالى خلقنا للعبادة ولا يريد منا إلا إحسان العمل وإتقانه، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾ الملك:2.

وإحسان العبادة هو الإخلاص فيها، وإحسان العمل إتقانه وإجادته ومراقبة الله تعالى فيه.

جاء في حديث جبريل الصحيح (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)⁴⁶، وإن المؤمن الصادق الملتزم المتدبر لكلام ربه يحسن إلى كل الخلق، إنسانه، وحيوانه، وجماده، لأن كل هذه المخلوقات مسخرة له وبالتالي وجب عليه حسن التعامل معها حين الانتفاع بها، قال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الجاثية:13.

لذلك يشمل الإحسان كلَّ سلوك الإنسان حتى مع الحيوان، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إنَّ الله تعالى كتب الإحسان على كلِّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحدِّ أحدكم شفرته وليرح ذبيحته)⁴⁷، وفوق هذا وذالك، إحسان الظَّنِّ بالله تعالى من كمال الإيمان. والمحسن حبيب إلى الرحمن قريب من رحمته، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة:195 وقال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف:56.

7- عفتها واعتدادها بنفسها

43 الحديث في الصحيحين .

44 رواه مسلم .

EDITORIAL

المسلم المستقيم على الحق يُعرف بعفته إذا استثيرت شهوته، وبعزته إذا استُفزت كرامته، فهو عفيف اليد واللسان، طاهر القلب والجنان، لا يقبل الضيم والخذلان، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المنافقون 8، وقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران 139. وقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ المائدة 54.

وقال أحد الحكماء في شأن الاعتداد والاعتزاز بالنفس وعدم تقليد الغرباء:

كل من أهمل ذاتيته فهو أولى الناس طراً بالفناء
لن يرى في الدهر شخصيته كل من قلد عيش الغرباء

وروي عن الإمام الشافعي كلام نفيس عن أصحاب الهمم العالية ورافضي المذلة والانكسار للغير:

أمطري جبال سرنديب وفيضي أبار تكرر تبراً
أنا إن عشت لست أعدم قوتاً وإذا مت لست أعدم قبراً
همتي همت الملوك ونفسي نفس مؤمن أبي يرى المذلة كفراً⁴⁸

8- صدقها وأمانتها

الصدق قيمة، والصدق حال، والصدق أقوال وأفعال، وهو الذي يميز أهل الإيمان من أهل النفاق، وهو صفة وسمة تلازم المؤمن ولا تنفك عنه أبداً؛ لذلك فهو من أخص الخصائص المؤمن، وقد أمرنا الله تعالى بأن نكون في معية الصادقين ووعدنا بالمغفرة والأجر الكبير قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ التوبة 119: وقال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ الأحزاب 35. والصدق يقود إلى الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: (عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً)⁴⁹

45 الأبيات للإمام الشافعي، وردت في الديوان المنسوب إليه.

46 من حديث رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

EDITORIAL

جاء في مدارج السالكين (الصدق هو سيف الله في أرضه ما وضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلاً إلا أرداه وصرعه، من صال به لم ترد صولته، ومن نطق به علت عند القوم كلمته، فهو روح الأعمال ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، وهو الباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاس اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين)⁵⁰.

9- إيثارها بالخير للآخرين

والإيثار خلق عظيم، وسمة وخصلة مدح الله بها رب العالمين عباده الأنصار حين آووا، ونصروا إخوانهم المهاجرين، فحريّ أن يتصف بها المؤمن السالك درب الأولين. حتى يتق الشح والأنانية ويكون من المفlichen. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر:9. والمؤمن شعاره دائماً الإيثار، لا الأثرة، يقدم ما عنده طلباً لثواب الله.

قال تعالى: ﴿يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ الإنسان:8-9، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني مجهد-أصابه التعب من الجوع-، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى الأخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من يضيف هذا الليلة؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني قال: فعليمهم بشيء وإذا أرادوا العشاء فنومهم، وإذا دخل ضيفنا فأطفئ السراج، وأريه أنا نأكل، فقعدها وأكل الضيف وباتا طاويين، فلما أصبح غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة)⁵¹.

10- بالصبر تبلغ ما تريد

ونختم هذه السمات الخاصة بالشخصية المسلمة بصفة الصبر التي تمثل نصف الإيمان كله، فحريّ وجدير بالمسلم المتدبر أن يتحلى بها حتى يتذوق حلاوة القرآن التي شهد بها ذلك المشرك حينما استمع إلى القرآن فقال: (إِنَّ

47 انظر: ابن القيم، مدارج السالكين 2/268.

48 متفق عليه

EDITORIAL

له لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة)⁵²، وإنّ الله تعالى قد ذكر الصبر في القرآن تسعين مرة، والصابرون هم المعتبرون بآيات الله كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ إِنَّ يَشَأُ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ الشورى 33.

ونزيتن هذه السمات للشخصية المسلمة المرتجاة بكلام نفيس للإمام "الأجري" الذي يقول في هذا الشأن: (إنّ المسلم عليه أن يتق الله في السر والعلن، باستعمال الورع في مطعمه ومشربه، وملبسه ومسكنه، وأن يكون بصيراً بزمانه وفساد أهله، فهو يحذرهم على دينه، يكون مقبلاً على شأنه، مهموماً بإصلاح ما فسد من أمره، حافظاً للسانه، مميزاً لكلامه، إن تكلم، تكلم بعلم، وإن سكت، سكت بعلم، قليل الضحك، لا يغتاب أحداً، وإن مزح قال حقاً، باسط الوجه، طيب الكلام، لا يمدح نفسه بما فيه فكيف بما ليس فيه؟ لا يحسد أحداً على نعمة، ولا يشمت بمصيبة، ولا يسيء الظن بأحد إلا لمن يستحق، متواضع في نفسه، إذا قيل له الحق قبله من صغير أو كبير، يطلب الرفعة من الله لا من المخلوقين، يؤدب نفسه بالقرآن، ويكون له القرآن شاهداً وشفيعاً وأنيباً وحرزاً)⁵³.

وأخيراً فإنّ المسلم الملتزم يتمثل تلك الصفات، ولا يقرب أضدادها، وإن زلّ أو نسي فيؤوب ويرجع من قريب قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ النساء 17، ونختتم هذه الرقائق بكلام قيّم للإمام بن حزم في مقارنات منطقية تستحق الوقفة والتأمل فقد قال رحمه الله: (إنّ طالب الآخرة مشبه بالملائكة، ليفوز بالرضوان والجنة، وطالب الشر، مشبه بالشياطين فمصيره النكال والجحيم، وطالب الجاه مشبه بالسباع المفترسة فمصيره الانقراض، وطالب اللذات مشبه بالبهائم فمصيره ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ محمد 12، وطالب المال لأجل المال فمشبه بقارون وأبي بن خلف، ﴿يُحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ الهمة: 3-4.

والعاقل هو: المسلم التقي القوي النقي الذي لا يغتبط بصفة يتفوق فيها السباع والبهائم والجمادات، وإنما يغتبط بتقدمه في الفضيلة وحلقة القرآن وتدبر كلام الواحد الديان - وهي الصفة التي يشارك فيها الملائكة كما ذكرنا

49 هذه الكلمة قالها: (الوليد بن المغيرة)، فنزل فيه قوله تعالى: فقتل كيف قدر....، انظر: تفسير ابن كثير،
50 انظر: أخلاق حملة القرآن، ص 146، محمد بن الحسين الآجري (ت 360) تحقيق د. محمد النقراشي

EDITORIAL

ذلك في المقدمة، فكل من قوي إيمانه، وحسن عمله، واتسع علمه، وكمل إخلاصه، وتميز بحسن خلقه، فليغتبط أيما اغتباط بذلك، فإنّه لا يتقدمه في هذه الوجوه الشريفة إلا الملائكة المقربين وخيار الناس المكرمين.⁵⁴ فهنيئاً لمن كان هذا مقامه، وبنى على تلك القيم شخصيته وصاغ على منهج التدبر سلوكه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد المؤيد بأعظم المعجزات وعلى آله وصحبه أهل الفضل والسبق والمكرمات.

وبعد : فإنّ العبرة بالخواتيم، وها نحن نصل نهايات مطافنا في الموضوع الذي تناولنا فيه مسألة القراءات القرآنية واختلافاتها ودلالة ذلك في تعميق التدبر وإذكاء القيم السلوكية في الفرد المؤمن، وقد توصل الباحث إلى جملة من النتائج يمكن تلخيصها في النقاط التالية

- 1- إنّ القرآن الكريم كتاب معجز، وإنّ واحداً من أوجه إعجازه مسألة اختلاف القراءات.
- 2- إنّ عملية التدبر في قراءة القرآن تقود حتماً إلى تعميق القيم وتعزيز السلوك الإيجابي لدى المؤمن .
- 3- إنّ أدل شيء على ذلك هو الواقع الذي عاشه وجسده الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام من السمو الروحي والأخلاقي الذي قادهم الى التفوق في كل الميادين.
- 4- إذا أردنا أن نسير في ركب التقدم والتطور علينا أن نستمسك بهذا الأصل ونأخذ بأسباب العصر .

التوصية

وختاماً أوصي بضرورة تمتين وتعميق التواصل بين المراكز البحثية والجمعيات العلمية والعملية التي تعمل في خدمة القرآن الكريم والعناية بطلابه وحُفاظه في زمن الغفلة وفشو الفتن والله الموفق والمستعان .

51 انظر :الأخلاق والسير في مداراة النفوس . ص 18- 19 للإمام بن حزم .

EDITORIAL

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – محمد فؤاد عبد الباقي, ط 1989/2, تحقيق / عبد الرحمن فاخوري .
- جامع البيان في تأويل القرآن – محمد بن جرير الطبري, ط 1420/3, بيروت – دار الكتب العلمية
- حرز الأمانى ووجه التهاني المسماة بالشاطبية – للإمام أحمد بن فيرة الشاطبي الرعيي
- تفسير القرآن العظيم – للحافظ بن كثير – دار المعرفة بيروت /1983.
- في ظلال القرآن – سيد قطب – مطبعة دار الشروق, 1983.
- الكشاف – للإمام إبي القاسم بن جار الله الزمخشري – دار الفكر .
- فتح الباري في شرح البخاري – للإمام بن حجر العسقلاني .
- 9- صحيح مسلم – للإمام مسلم بن حجاج القشيري.
- القراءات العشر , بن الجزري – درا الفكر – بيروت
- صحيح بن حبان – ط 1 لبنان , دار الكتب العلمية , 1407.
- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة – للإمام السيوطي , ط 1, دار السلام – لبنان , 1411- تحقيق / عبد الرحمن فاخوري
- لسان العرب , لابن منظور, ط 3/ دار إحياء التراث العربي .,
- تاج العروس – للفيروز ابادي , ط 1/ دار إحياء التراث العربي .
- زاد المعاد في هدي خير العباد – للإمام بن القيم – ط 14/ 1407 مؤسسة الرسالة .
- مدارج السالكين – لابن القيم ط/ 1/ 1999 .
- الأخلاق والسير في مداواة النفوس, لابن حزم / ط 2/ دار الكتب العلمية – بيروت 1985

EDITORIAL

- أخلاق حملة القرآن – محمد بن الحسين أبوبكر الأجرى (ت 360) ط/1987م القصيم بُريدة المملكة العربية السعودية .
- الأخلاق الفاضلة قواعدها ومنطلقاتها, د. عبد الله بن ضيف الله, ط/1417/1
- القرآن محاولة لفهم عصري – د.مصطفى محمود, ط/8 دار المعارف – القاهرة
- قانون التأويل – القاضي أبوبكر بن العربي, مؤسسة علوم القرآن – بيروت .
- النفس البشرية كما تحدث عنها القرآن – خليل محمد خليل, دار إحياء التراث العربي, 1422.
- مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة, د. خالد اللاحم, ط/1425/1
- تدبر القرآن , - سليمان السنيدي, ط/1/2001, الناشر مجلة البيان
- منشورات الندوة العلمية للجمعية السعودية للقرآن الكريم وعلومه. 1422 / 10 / 22 هـ .
- إحياء علوم الدين . أبو حامد الغزالي . مكتبة المنار . الزرقاء – 1407 هـ.
- مجمع الزوائد . الهيثي . المكتبة السلفية – الأستانة 1978 م .
- كيف تكون ماهراً بالقرآن ؟ . صالح سنين صالح يعقوب . مطبعة الفرقان للطباعة والنشر – ط/ ود مدني – السودان 2012 م .
- وفيات الأعيان . ابن خلكان . المكتبة السلفية – الاستانة - 1977 م .
- الشبكة العنكبوتية موسوعة (ويكيبيديا) . الروابط (ar.wikipedia.org/wiki/ + www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=...)